بعثة الى أمريكا

٧ — سهرة المساء

سألنى صاحبى ونحن نهم بالخروج من البيت إلى أين نحن ذاهبان فأخبرته بأننا سنذهب لقضاء سهرة المساء ، فتوقف قليلا وقال : لنرتدى ملابس السهرة إذاً . ملابس السهرة ! فتبسمت وقلت لاداعى لها يا صاحبى فى الكويت البس كما تشاء واسهر كما تريد إن الذى يسهر هو أنت وليس ملابسك ألم أقل لك أننا لانهتم بالمظهر : فأجاب حقاً إنكم كذلك وإنى لأغبطكم على حريتكم هذه لأننا نلزم على ارتداء ملابس خاصة لكل مناسبة أو على الأصح بدون مناسبة فأجبته : إنكم قيدتم أنفسكم بحريات أربع وأدعيتم إنكم بلد الحريات ونحن مع تمتعنا بالحرية المطلقة — فى حدود الصالح العام لانفخر بذلك مثلكم : فأجابنى على الفور : لعلكم تخشون الحسد ، فأغضبنى كلامه وقلت له . لقد أسأت الفهم ولكننا ولدنا أحراراً فكانت الحرية شىء طبيعى لدينا أما أنتم . — فلم يعجبه كلامى وقاطعنى قائلا : وأين ستقضى السهرة ؟ فقلت : مادمنا فى يومنا الأول فانى سأذهب بك إلى أفخم وأجمل محل فى الكويت حيث يقضى الناس سهراتهم . . إلى البلدية ! فتبسم صاحبى فى مكانه وتفرس فى وجهى جيداً ليدرك مبلغ صحة قولى . ثم قال ، لبئست السهرة إذن وبئس نحن من ساهرين .! فاهتشنى منه برده وقلت له : لاتتعجل وتحكم علينا قبل أن تراها . إنها للكويت بمثابة عمارة الامبراطورية لبلادكم فأجاب : قبل أن أراها . ! ؟ وما تكون تلك التى مررنا بها هذا الصباح حيث كانت موسيقى الذباب تصدح وتصم أذن كل مار . وبعد مدة فهمت مزاده فضحكت منه مدة طويلة وقلت إنى لفى حيرة من أمرك — تبدو لى أحياناً أذكى الأذكياء وأحياناً أغبى الأغبياء . إن التى تذكرها هى « بيب البلدية » ولكن لما تعلم من قبل أننا عمليون حذفنا الكلمة الأولى للاختصار أما التى نحن ذاهبون إليهـــا فهى دار البلدية حيث تقوم أجمل بناية فى الكويت . فاشتد احمرار أنفه أكثر من ذى قبل وبلع ريقه وتشجع وسألنى : لم هذه « الأبيات الصغيرة . ؟ فأجبته بأنها لاستقبال مخلفات المنازل للتخلص منها . فقال : وهل للتخلص يكون : بنقلها من مكان محدود لتكويمها ونشرها فى الشارع العام ليكون ضررها أبلغ وأعم . . ! فقلت : لا ولكن نقلها تمهيداً للتخلص منها . قال : تدعى إنكم عمليون فلماذا لاتختصرون الطريق وتنقلونها — غير مأسوف عليها — رأساً إلى مقرها الأخير كسائر بلاد الله .

وإلى هنا كنا قد وصلنا إلى حيث بدت لنا بناية البلدية بارزة تزين صفاة الكويت فاسترعت انتباهنا . ووصلناها ودخلنا فاستقبلنا بحفاوة بالغة كما هى العادة إلى استقبال كل زائر يزور البلدية ثم جلسنا فى صحن الحديقة نتحدث وكان صاحبى معجباً بهندستها وبنائها وذكرنا الخدمات الجليلة التى أسدتها للكويت ثم أقبل أحد موظفى الدائرة فهمست فى أذن زميلى بأنه طبيب البلدية وهو الذى يملك التصرف فى أرواح الكويتيين وكلها تحت رحمته . فقال صاحبى : مالى أراه قد هجر زيه فقلت . وأى زى ! إنه لم يغيره أبدا . . ! فقال . . أهو كويتى ؟ قلت نعم . . ولم السؤال ؟ ! قال : لأنك أخبرتنى أنه لم يتخرج ولا طبيب كويتى واحد . قلت نعم . قال كيف يكون ذلك ؟ ! فقلت مستدركا لقد نسيت أن أقيدك أنه طبيب بيطرى . فقال . والطب البيطرى . ألا يحتاج لدراسة . ! ؟ قلت : ليس هذا ماقصدت . ولكننا كما أخبرتك من قبل نفهم بالفراسة والخبرة . قال : ذكرتنى لقد كدت أنسى ذلك . ثم انصرفنا فودعنا بمثل مااستقبلنا به من إكرام وبعد خروجنا من الدار سمعنا صراخاً وعويلا يصدر من بناية شاهقة خلفنا فقلت لصاحبى أسرع لنرى . قال : لعلها حديقة الحيوان .! قلت . لا ولكنه سجن المجاذيب — عفواً اقصد مستشفى — ودائماً تغلب على هذه الكلمة اللعينة لأنه أول مابنى كان معداً ليكون سجناً : انظر خلال الشباك . قال : ولم لاندخل من الباب : ! ! قلت : أخشى أن يطيب لك المقام . ! أو أن لايسمح لك بالخروج بعد الكشف عليك . ! فنظر وقال : نعم . هاهو الطبيب بيده سماعته يعالج أحد المرضى وهو يتأوه من شدة الألم : ! !

المبعوث النائم